

بحثا أوضح فيه أن الفلسطينيين بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٦٩ « بقليل من المعونة أو بغير معونة نشروا واكتسبوا ثقافة أعلى من ثقافة الاسرائيلي الأوروبي وبعدها أكبر » . فالفلسطينيون وبينهم ٥٠ الف خريج جامعة هم « بين الشعوب الأكثر ثقافة في العالم العربي » . ويدعم الكاتب هذه الحقيقة بذكر انجازات بعض الفلسطينيين .

وينتقل الكاتب بعد ذلك الى الحديث عن المقاومة الفلسطينية ويخصص لها فصلين من الكتاب ، السادس والسابع ، حيث يحاول اعطاء لمحة تاريخية عن نشوء كل حركة من خلال سريرة حياة أحد مؤسسيها أو قادتها . ويعتمد هنا على مقابلات كان قد أجراها مع كل من ياسر عرفات وجورج حبش ونايف حواتمة وغيرهم . ويقدم الكاتب في الفصل السادس خلفية سريرة عرفات ونشاطه كما يتطرق الى انجازات فتح وأهمية وثقتها في معركة الكرامة ويشير الى ان منظمة فتح في عام ١٩٦٩ كانت تملك بنية تحتية من المستوصفات والمباني لولاد الغدائين الذين قتلوا في المعركة . . . ومدارس ومراكز تدريب حربي في مخيمات اللاجئين . وكان حجم هذه البنية ونطاقها هما اللذان اخذا يخيفان السلطات في الاردن مما أدى الى انفجار الموقف . ويملق الكاتب على ذلك بأن المقاومة الفلسطينية أفلحت في البقاء على الرغم من وجود مجموعة قوية من الاعداء .

القسم الأول من الفصل السابع مخصص لتفحص الجبهة الشعبية واصولها وتطوراتها اللاحقة . ويبحث بقية الفصل انفصال أحمد جبريل ثم الانشقاق الاخطر لنايف حواتمة وبروز الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، ويشير الى بعض الفوارق بين الجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية . ومع ان ما يأتي الكاتب به في الفصلين المخصصين لحركة المقاومة ليس بالجديد ، فان أهميتها تكمن في اعطاء صورة حقيقية وصادقة عن اهداف ودوافع المقاومة التي طالما شوهت في الغرب لمصلحة الدعاية الصهيونية . غير ان الكاتب يستنتج بأن الفعالية العسكرية للمقاومة « بعده ان كانت ضئيلة قبل وقف اطلاق النار عام ١٩٧٠ صارت معدومة بحلول عام ١٩٧٢ » . ولكن للاسف ، ليس لدى الكاتب ما يقوله عن أهم تأثير سياسي لحركة المقاومة ، في هذا الفصل على الاقل .

أكثر اشارة بكثير من القسم الثاني . ويلاحظ الكاتب هنا في ابراز بعض الحقائق المهمة مثل وهي الفلسطينيين في مطلع هذا القرن على الخطر الصهيوني وردة الفعل اليهودية قبل ١٩٤٨ والاسباب الكامنة وراءها . كما انه يلتفت للنظر الى فارق مهم بين النشاط الصهيوني والنشاط العربي من حيث ان « النشاط الصهيوني كان على نطاق دولي في حين كان النشاط العربي محليا ومحدودا » . ويعتقد الكاتب على خلق دولة صهيونية في الخامس عشر من ايار (مايو) ١٩٤٨ واجلاء ٧٠٠٠٠٠ فلسطيني بقوله : « هذا الخروج الآخر يكاد يجهله العالم الذي أضحت متأثر الصهيونية أعمال بطولة له » .

يخصص المؤلف الفصل الرابع وعنوانه «الاحتجاج والشعر والنثر الفلسطيني » للحديث عن انعكاسات تعلق الفلسطينيين بأرضهم في الادب والشعر والفن الذي ظهر قبل حرب حزيران وبعدها . وهذا الفصل هو أحد الفصول الأكبر قيمة في الكتاب . ففيه يتحدث الكاتب عن شعر الفلسطينيين الجميل وتوقهم الى الارض وتحديدهم للاسر وحاجتهم الملحة للمودة . ويعطي الكاتب هذا الشعر بعدا عاليا بقوله ان بعض هذا الشعر المكتوب في ظل الاحتلال الاسرائيلي « يمكن مقارنته بأدب ما يسمى «الهجرات الداخلية » للكتاب الأوروبيين المناهضين للغاشمية في الثلاثينات » . ويشير كولي الى شعراء وغنائين من داخل الارض المحتلة وخارجها امثال توفيق زياد وسامح القاسم وفدوى طوقان ومحمود درويش . ويعرف بأعمال غسان كنفاني وكبسال بلاطة وجمانة بايزيد الحسيني واسماعيل وتسام الشموط وفلاذيمير تمازي وغيرهم . كما يشير الى ثناتين داخل الارض المحتلة امثال عبد العابدي وعبدالله قرة وغيرهم .

أما الفصل الخامس فهو يتحدث عن بعض أعمال المثقفين والعلماء الفلسطينيين ، خاصة المعروفين منهم في الغرب ومن بينهم موسى العلمي وابراهيم ابو اللغد وآخرين . ويشير الكاتب هنا الى حقيقة مهمة وهي ان الكثيرين من الفلسطينيين أفلحوا في بناء أعمال ناجحة وفي الاسهام في « العلوم والفن المهني في العالم الخارجي » رغم المشقات والعقبات التي واجهوها . ويستشهد المؤلف بالاستاذ انطوان زحلان من الجامعة الاميركية في بيروت الذي أجرى